الفصل الأول

مفهوم الحضارة وعوامل قيامها في العصر الإسلامي
(نظرة تاريخية)

أولا : مفهوم الحضارة

ثانيا : نشوء الحضارة وعوامل تقدمها

1- نظرية البيئة

2- رأي ابن خلدون

3- نظرية فيكو

4- نظرية الجنس والعرق

5- نظرية شبنكلر

6- نظرية التحدي والاستجابة

7- النظرية المادية

ثالثا : قيام الحضارة الاسلامية

رابعا : الأتراك والاسلام

هوامش الفصل الأول

أولا : مفهوم الحضارة :

تلفظ الحضارة بكسر الحاء وفتحها، وهي مشتقة من الفعل حضر، وحضر لغة ضد غاب، ومنه الحضر والحاضرة والحضرة، والحضارة بمعنى المدن والقرى والريف، سميت بذلك لان أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار، أي سكن واقامة، وعليه كانت الحضارة لغة تعني الاقامة في الحضر خلافا للبادية التي يمكن أن تكون قد اشتقت من الفعل المجرد (بدا) ومضارعه (يبدو) أي برز وظهر، ثم اطلق اللفظ على المكان، وصارت تعني الاقامة خارج الحضر، غير أن اللفظ إلى جانب مدلوله اللغوي، صار يستعمل اصطلاحا للدلالة على معاني أخرى اختلف الباحثون في الدراسات الحضارية فيها.[1]

ففي العصور الاسلامية السالفة استخدم ابن خلدون لفظ العمران للدلالة على مستوى الحياة التي يعيشها الناس، وعد الحضارة غاية العمران ومنتهاه، خلافا للبادية التي تمثل أول العمران ومبتداه، وفي مرحلة الحضارة يكون الناس، برأي ابن خلدون، بلغوا حالة زائدة على الضروري من أحوال معاشهم تمكنهم من التفنن والترف واحكام الصنائع المستعملة في وجوه الترف ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش وسائر عوائد المنزل وأحواله، وما تستدعيه أصناف الصنائع المستعملة من القومة والمهرة فيها، مع ما يضيفه تكرار هذه الصنائع على اتصال الأيام من استحكام ورسوخ لها[2]، والاتجاه الذي يذهب ابن خلدون اليه في مدلول لفظ الحضارة يشير إلى استعماله لفظ الحضارة للدلالة على نوع معين من الحياة يشبه إلى حد كبير مدلول لفظ المدنية في العصر الحديث عند بعض الباحثين الذين يرون المدنية مجموعة المظاهر المادية التي تمثل مستوى اشباع الحاجات الانسانية في المجتمع.[3]

وفي العصر الحديث تناول لفظ الحضارة باحثون كثر ومن مختلف البلدان، كالألمان والفرنسيون والانكليز والأمريكان وغيرهم، إلى جانب العرب والمسلمون، وقد اتفق أكثرهم عند قدر من الظواهر الاجتماعية هي السلوك والعقائد والنظم، وعدّوه داخلا في مدلول لفظ الحضارة، ثم اختلفوا من بعد ذلك في مقدار ما يدخل من الظواهر الاجتماعية تحت ذلك المدلول، فقد ذكر (ول ديورانت) الامريكي: " أن الحضارة نظام اجتماعي يعين الانسان على الزيادة من انتاجه الثقافي"، وذكر راتناو (Rathnau) وكسيرلنج (Keyserling) وتوماس مان (Thomas man)وهم باحثون ألمان، أن الحضارة هي : " الروح العميقة للمجتمع وتقوم على تأكيد الأصالة الروحية والحقيقة الفلسفسية والعاطفية للانسان"، وقال ماكيفر (Maciver) أن الحضارة هي: "ما نحن لا ما نستعمل وتتمثل في الفنون والاداب والديانات والأخلاقيات"،

أما الانثروبولوجي الانكليزي ادوارد ب. تايلور (Burnett Tylor Edward) فقد قال: "ان حضارة أي مجتمع هي كل معقد مكون من المعرفة والعقيدة،، والفن والأخلاق والقانون والتقاليد". من خلال هذه الاراء نجد أن الباحثين يميلون إلى ابعاد ما يتصل بالفنون الصناعية والعلوم الطبيعية والرياضيات وأمثالها من مجال مدلول الحضارة، بينما نجد الباحثين الفرنسيين، مثل دركهايم ومارسيل موسن يفصلون في الغالب بين عناصر أنشطة المجتمع المختلفة من فكرية وتكنولوجية وغيرها ويتحدثون عنها جميعا تحت عنوان (المدنية) اللفظ الرديف للفظ الحضارة عند بعض الباحثين، إلى جانب بعض الاراء التي ترى أن الحضارة تمثل مستوى التقدم الذي بلغه المجتمع في ميدان الفكر والاجتماع والاقتصاد والتكنولوجيا.[4]

من خلال ذلك، انقسم الباحثون في مدلول لفظ الحضارة إلى فريقين، الأول: يرى أن الحضارة تعني مجموعة المظاهر الفكرية والمادية في المجتمع، والثاني: يرى الحضارة تعني المظاهر الفكرية في المجتمع فحسب، ومع القول بأن الفصل الحاد والتفرقة الدقيقة بين مدلولات الألفاظ في المجال الاجتماعي أمر بعيد التحقيق، فلا بد من التماس مدلول لمصطلح الحضارة يتوخى فيه المطابقة للواقع قدر المستطاع.

إن القول بوجود أمة ووجود مجتمع يعني بالضرورة وجود ما يميز الأمة عن غيرها من الأمم ووجود ما يميز المجتمع عن غيره من المجتمعات، رغم التشابه الذي يكون بين الأمم والمجتمعات، وكذلك لا يضير التمايز بين الامم تسرب بعض الظواهر الاجتماعية من أمة إلى أمة، ومن مجتمع إلى مجتمع، وظهورها في المجتمع الجديد جنبا إلى جنب مع العناصر الاجتماعية الأولية فيه، ما دام جسم المجتمع الكلي يظل محتفظا بسماته العامة التي تحفظ على المجتمع وعلى الامة شخصيتها التي تميزها عن غيرها من الامم والمجتمعات، واذا أمعنا النظر لاستكشاف القواعد الأساسية التي تظل على الدوام تمد شخصية الامة بالرواء وتهبها القوة والبقاء، نجدها ماثلة في طريق الأمة في الحياة، وهي طريق تشكل عقيدة الأمة وقاعدتها وتشكل القوانين والأنظمة والافكار القائمة على هذه العقيدة وفروعها، وعليه فان حضارة أية أمة هي مجموعة المفاهيم الموجودة عند الأمة حيال الكون والإنسان والحياة، وبمعنى آخر عقيدة الأمة وما ينبثق عن هذه المفاهيم اي عن العقيدة، من قوانين وانظمة وأفكار تعالج المشكلات المتعلقة بأفراد الناس وجماعاتهم في المجتمع، وما يتصل بهم من مصالح تعود عليهم، فعقيدة الأمة وما ينبثق عنها من حلول لمشكلات الأمة على شكل قوانين وأنظمة وأفكار، هي التي تمنح

الأمة شخصيتها الحضارية المتميزة، ويمكن أن تكون برأي جديد لمصطلح لفظ الحضارة، وعند تبني هذا المدلول للفظ الحضارة يجد المرء سهلا معرفة ما بين الحضارات الغربية والمادية والاسلامية من فروق ويدرك سر التمايز بينها.[5]

ثانيا : نشوء الحضارة وعوامل تقدمها :

مع وجود التاثيرات المتبادلة بين المظاهر الفكرية والمادية في حياة الامة وحضاراتها، فان هناك نكهة خاصة وشخصية معينة تتميز بها حضارة كل امة دون غيرها، وتتمثل بما عند الامة من عقيدة وما ينبثق عنها من الأفكار والانظمة . وفي سياق ذلك هذا استعراض لاهم الاراء والنظريات التي تدور حول نشوء الحضارة، ثم ننتقل إلى أهم العوامل التي تساعد على نشوء الحضارة وتقدمها :

1- **نظرية البيئة :**[6]

تذهب هذه النظرية إلى التأكيد على دور عامل البيئة في نشوء الحضارة، وقد ظهرت هذه النظرية عند مفكري اليونان منذ القرن الخامس قبل الميلاد، وربما كان لظروف العالم اليوناني انذاك دور في تبني هذه النظرية، إذ تميز العالم اليوناني وقتها بتعدد ثقافاته وقلة تنوع شعوبه، الأمر الذي جعل مفكري اليونان يعزون تنوع الثقافات إلى عامل بيئي فقالوا بأثر الجو والماء والموقع على الانسان في خلقه وتفكيره، وميزوا على سبيل المثال بين أهل الجبال الذين وصفوهم بالبنية الضخمة والشجاعة والقدرة على الاحتمال ونقاء اللون وبين أهل الأراضي المنخفضة الحارة الرطبة الذين وصفوهم بالأجسام الكبيرة المترهلة والألوان القاتمة وسرعة الغضب وضعف الاحتمال . وقد تأثر ابن خلدون في مقدمته بنظرية البيئة وأورد كثيرا من الأحكام المبنية عليها، فذكر اثر البيئة على جلد الانسان سوادا وبياضا، وعلى العيون زرقة وغير زرقة، وعلى الشعر صهوبة وغير صهوبة، وعلى البدن في لونه صفاء وانكسافا وغلظة ولطافة ورقة، وعلى الشكل نقاءا وبشاعة، وعلى الخلق حسنا وقبحا، وعلى التدين قوة وضعفا وعلى العقل فطنة وذكاء وبلادة وغباء، وميز بين اثر الاقاليم المعتدلة في ذلك وأثر المنحرف منها، وقال ان اعتدال مناخ الاقليم يجعل حياة الناس فيها معتدلة فاهله أعدل أجساما وأخلاقا على عكس أهل الأقاليم المنحرفة فالدين عندهم مجهول والعلم مفقود وأحوالهم قريبة من أحوال البهائم بأمزجتهم وأخلاقهم .

إن هذا الرأي الخاص بارتباط الحضارة بالبيئة ارتباط العلة بالمعلول والسبب بالمسبب مجانب نوعا ما للواقع، لأن هذا القول يفرض على كل بيئتين متشابهتين لا بدّ أن يقوم عليهما

حضارتان متشابهتان، ولم يقدم التاريخ دليلا لذلك، وفي الوقت الحضر تجلت قوة الانسان وقدرته على تسخير البيئة لأغراضه والانتفاع بها لمصالحه، وهذا ما يضعف التعلق بنظرية البيئة ومسؤوليتها عن نشوء الحضارة .

2- رأي ابن خلدون:[7]

رغم تأثر ابن خلدون باراء المفكرين اليونانيين في تأكيد دور البيئة في نشوء الحضارة، فانه قدم في جانب اخر من مقدمته تفسيرا لنشوء الدولة في حياة الناس، وجاء اهتمامنا برأي ابن خلدون في هذا المجال انسجاما مع الارتباط بين الدولة والحضارة .

رأى ابن خلدون أن اجتماع البشر ضرورة تحتمها متطلبات الحياة التي يعجز الفرد الواحد عن الاحاطة بها، فكان لا بدّ لبني البشر من التعاون الذي هو أساس الاجتماع البشري، غير أن هذا الاجتماع لا يسلم من وقوع الخلاف والقتال بين الأفراد لتعارض المصالح بينهم، الذي يعقبه قيام الفريق الغالب بتنصيب نفسه فيصلا بين شؤون الناس وقضاياهم وجلوسه فيهم مجلس الحاكم بينهم، وهذا النوع من الملك يعرف بالملك الطبيعي الذي يجري فيه حمل الناس وسوقهم على مقتضى غرض الحاكم وشهوته، لذلك يأتي الظلم والجور والأضرار بمصالح الناس وتكليفهم فوق ما يحتملون فتقع النفرة والعداوة ويحملهم ذلك على العصيان والمنازعة، ثم يقع القتل، وتستمر حالتهم هذه حتى ينجحوا في الوصول إلى وضع أساس تتولى جماعة العقلاء والبصراء منهم بلورته واخراجه، يجعلونه المرجع في تصريف شؤونهم وتدبير مصالحهم، وهذا النوع من الحكم يعرف بالملك السياسي الذي يجري فيه عمل الناس على مقتضى النظر العقلي، غير أن هذا الحكم لا يظهر معنيا بما للحياة البشرية من علة سابقة عليها ممثلة بالخالق الذي أوجدها، ولا بما بعدها مما يعرف بالحياة الاخرة. لذلك فان الملك السياسي وان كان أرفع قدرا من الملك الطبيعي فانه مشوب بالعيوب التي لا يمكن اغفالها أو اهمال دورها في شقاء الحياة البشرية، ومن هنا جاءت السياسة الدينية التي تأخذ بعين الاعتبار رعاية مصالح الناس في الحياة الدنيا والآخرة أتم وأكمل، وهذا النوع يعرف بالخلافة التي يجري فيها حمل الناس على مقتضى الشرع في مصالحهم الاخروية والدنيوية العائدة إليها .

3- نظرية فيكو:[8]

درس الفيلسوف الايطالي جان باتيستا فيكو (1668-1744م) التقاليد المثيولوجية والأساطير الشعبية والقصائد القديمة، مثل قصائد هوميروس والتشريعات البدائية، مثل

تشريعات الإثنى عشر لوحا، وانتهى من ذلك إلى وضع نظرية (الدورات التاريخية) في كتابه (العلم الجديد ومبادئ فلسفة التاريخ).

حاول فيكو من خلال النظرية أن يبين القوانين التي يتعين بها مصير الشعوب من نشأتها وتقدمها ورقيها إلى انحطاطها ونهايتها، فقال بوجوب قوانين واحدة تدخل في تشكيل الشعوب ويشعر بوجودها طبقة من الناس أو شعب من الشعوب أو أمة من الأمم دون أن يعرف أحدها الاخر ودون أن تكون هذه القوانين ناجمة عن العقل بل تكون اتية عن الحس المشترك أي الحكم دون تفكير .

إن نتائج فيكو في هذا المنوال تتعارض مع ما توصل اليه الفلاسفة العقليون الذين يرون المجتمع من صنع الناس العقلاء، خلافا لفيكو الذي لا يتصور وجود عقلاء وفلاسفة قبل وجود دولة وحضارة، ويرى فيكو أن البشرية تمر في تطورها التاريخي حسب التسلسل التالي: مرحلة عصر الالهة حيث يعتقد الناس ان الالهة تدبر كل شيء، ثم يعقبها مرحلة الدور البطولي حيث تظهر دور الشخصيات المهمة القوية، ثم يليها دور الحقيقة التي تسود المساواة الطبيعية بين الناس وتسود القوانين التي يتساوى فيها الجميع، ثم تصاب الحضارة بالانتكاس وتعود إلى بربرية جديدة لا تلبث ان ينبثق عنها حضارة جديدة، تعود فتنهار وتعود البشرية إلى البربرية .

4- نظرية الجنس والعرق :

يستخدم اصطلاح الجنس للتعبير عن توافر بعض الصفات المميزة والموروثة في جماعات معينة من البشر، ويرى أصحاب هذه النظرية أن اللون الصفة البدنية التي يعول عليها أكثر من غيرها، ويرون أن التفوق مسألة ترتبط باللون، وتضع النظرية بهذا الخصوص (السلالة النوردية) في المقدمة، وهي السلالة ذات البشرة البيضاء والشعر الأصفر والعيون الشهباء والرأس الطويل.[9]

في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، وفي غمار المجادلات التي انبثقت عن الثورة الفرنسية، ودارت حول التفريق بين الغاليين سكان فرنسا الاصليين وبين الفرنجة بعدّهم برابرة مغتصبين، نادى الكونت دي جو بينو بنظرية الجنس مدعيا انتماء الفريقين إلى جنس واحد وهو الجنس النوردي، وصادف نداء دي جو بينو حدوث كشف لغوي مفاده أن جميع اللغات الأوربية، إضافة إلى اللغات اليونانية واللاتينية ولغات فارس وشمال الهند الحية والايرانية القديمة والسنسيكريتية القديمة تنتسب بعضها إلى بعض، وهي أعضاء في عائلة

لغوية واحدة واسعة المدى، وأنها لا بد من أن تكون هناك لغة اصلية ارية أو هندية أوربية اشتق منها لسان كل أفراد العائلة.[10]

استخلص دي جو بينو من هذا الكشف اللغوي ان المتكلمين بهذه اللغات ينتسب بعضهم إلى بعض أسوة النسب القائم بين اللغات التي يتكلمون بها، وأنهم ينحدرون من جنس أصلي اري أو هندي أوربي، وان هذا الجنس هو الذي أنتج عبقرية زرادشت الدينية وعبقرية اليونان الفنية وعبقرية الرومان السياسية، ويرجع الفضل اليه في جميع ما حققت الحضارة البشرية من أعمال وتقدم عبر تاريخ البشرية الطويل.[11]

لاقت هذه النظرية مناخا طيبا للانتشار والقبول عند المتغلبين خلال فترة التقدم الصناعي الذي حققه الأوربيون، وما أتاحه هذا التفوق على الشعوب الأخرى والتغلب عليها وقيام حركة الاستعمار الأوربي للشعوب واستبداد الأوربيين بها، فأخذ الألمان بها وقالوا بالجنس الهندي جرماني بدلا من الهندي أو الأوربي، كجنس متفوق على غيره، كذلك أخذ الامريكيون بنظرية الجنس هذه في مطلع القرن العشرين وطالبوا بتقييد الهجرة إلى امريكا للمحافظة على نقاوة الفرع الأمريكي الذي يعد من شجرة الجنس النوردي.[12]

نقضت هذه النظرية تماما في الوقت الحاضر، فانتساب اللغات بعضها إلى بعض لا يعني بالضرورة انتساب الناطقين بها بعضا إلى بعض، كما أن الحضارة لم تكن وقفا على جنس دون آخر، فقد ظهرت الحضارة عند كثير من الشعوب التي تنتمي إلى أرومات مختلفة كالمصريين والهنود والسومريين وغيرهم.[13]

5- نظرية شبنكلر :

مثل الفيلسوف الألماني شبنغلر (Spengler)(1880 – 1936م) الحضارات ككائنات تاريخية حية شأنها شأن الكائنات العضوية الحية، لها سياق واحد تسير عليه ودورة متشابهة تمر بها، فكما أن للكائن العضوي مولده وطفولته وشبابه ونضجه وشيخوخته فإن للحضارات مثل ذلك، وبخصوص ولادة الحضارات يقول شبنغلر : " تولد الحضارات في اللحظة التي تستيقظ فيها روح كبيرة وتنفصل عن الحالة الروحية الأولية للطفولة الانسانية الابدية، كما تنفصل الصورة عما ليس له صورة، وكما ينبثق الحد والفناء من اللامحدود والبقاء .. وتموت الحضارة حينما تكون الروح قد حققت جميع ما بها من امكانيات وعلى هيئة شعوب ولغات ومذاهب دينية وفنون ودول وعلوم، ومن ثم تعود الحالة الروحية ".[14]

وما يلاحظ على هذه النظرية أن التشابه الذي اقامه بين الحضارات والكائنات العضوية لا

يتفق وطبيعة أطراف المقارنة فتطور الحضارات يختلف عن مراحل نمو الكائنات العضوية لاختلاف طبيعتهما، فبينما تكون الحضارات صنيعة الانسان وثمرة جهوده الممثلة بمفاهيمه وأفكاره وقوانينه وأنظمته مضافا اليها، عند بعض الباحثين، المستوى المادي الذي حققه الانسان في مجتمعه نتيجة درجة تجهيزه التكنولوجي، فان الكائنات العضوية ذات طبيعة فسيولوجية حية مختلفة، وما الضعف والقوة ثم الضعف الذي راه شبنغلر نسقا متشابها بين الحضارات والكائنات العضوية في تطورها الا تشابها ظاهريا لا ينفذ إلى الاعماق، وقد أدى اعتقاد شبنغلر بوجود التشابه بين الحضارات والكائنات العضوية إلى اعتماد الروح في تفسير نشوء الحضارة، وجاء تفسيره لنشوء الحضارة غامضا غموض المعرفة الانسانية بطبيعة الروح من جهة، وغموض حل مشكلة الوجود عند شبنغلر من جهة أخرى .[15]

6- نظرية التحدي والاستجابة :[16]

تنطلق هذه النظرية من وجهة نظر المؤرخ الانكليزي ارنولد توينبي، الذي يرى أن العامل الايجابي في نشوء الحضارة ليس مفردا ولكنه متعدد، وهو علاقة مشتركة تكون عند تعرض الانسان للتحدي واستجابته له، فالتحدي والاستجابة عند توينبي هو العامل الايجابي الأقرب إلى تفسير نشوء الحضارة والى تقليل عطاء الانسان في حالة والعقم في حالة أخرى، فقد توجد البيئة وتنشأ حضارة وتوجد بيئة مماثلة ولا تنشأ حضارة، وسبب ذلك عند توينبي وجود التحدي والاستجابة في الحالة الأولى وعدم وجودها في الحالة الثانية.

وقد استرشد توينبي في الوصول إلى نظريته بالقصص الذي يمثل جزءًا من الفكر الديني عند الأمم وببعض الكتابات التي وضعها علماء البيئة الطبيعيين، وطبق توينبي نظريته (التحدي والاستجابة) في نشوء الحضارة على النحو التالي : قال توينبي أن العالم كان يسوده أحوال مناخية معينة كانت فيها الصحراء الأفريقية والعربية في آسيا تنعم بهطول الأمطار الغزيرة التي أنبتت في أرضها الحدائق والأحراش وغطتها بالمزارع والنباتات، ثم حدث أن تغيرت هذه الأحوال المناخية وغدت الصحراء الأفريقية والعربية تعاني حالة من الجفاف الشديد على أثر تغير نظام نزول الأمطار الذي كان سائدا فيها، فتعرض الانسان في هذه المنطقة نتيجة لذلك إلى تحد؛ إذ كانت استجابة الانسان في هذه المنطقة لهذا التحدي مختلفة، فالذين آثروا الهجرة إلى منطقة أخرى تسود فيها الحياة المعيشية نفسها التي كانت سائدة في الوطن الأصلي كانت استجابتهم خلاقة، أما الذين آثروا البقاء في الوطن على الهجرة واكتفوا بما تجود به أرضهم فقد انعدم عندهم أثر التحدي عليهم ولم تحدث عندهم الاستجابة، فهم بنظر

توينبي عرضة للانقراض، بينما الذين غيروا موطنهم وغيروا طريقة معيشتهم فقد واجهوا تحديا مضاعفا شحذ ملكاتهم وأدى إلى نشوء الحضارة على أيديهم في بلاد الرافدين ووادي النيل متمثلة بالحضارة السومرية والحضارة المصرية . وبذلك راى توينبي أن التحدي مثلما كان ماديا كالذي حدث عند تغير الأحوال المناخية فانه قد يكون فكريا، وان التحدي الحاضر هو تحد ماثل في الحضارة الغربية، ولكنه لا يزال حديثا إلى درجة لا يمكن معها التنبؤ بالاستجابة.

وما لوحظ على هذه النظرية هو أن توينبي أقامها على فرضية غير مقطوع بصحتها وصحة الالية التي استجاب الانسان بها عند تغير الأحوال المناخية في منطقته، كما لم يذكر توينبي أنواع التحديات وأنواع الاستجابات التي ترتبط بكل نوع منها، وذكر أن الناس ليسوا سواء أمام التحدي حتى ولو كان التحدي واحدا، وأكد أن رد فعل هؤلاء يتصل في بعضه بالقوى السايكولوجية الدافعة التي يستحيل تطبيقها ووزنها وقياسها وبالأحرى تقديرها تقديرا علميا مقدما، مما يوحي بأن الدور الأساس في التغيير هو الانسان لا طبيعة التحدي، فالانسان هو الذي يعين مسار الانتقال والتغيير حسب الحال الذي يكون عليها، وهي حال لا يصنعها التحدي، ولكنه قد يستثيرها والاستثارة وحدها ليست كافية لعملية التغيير، فالتحدي ومثله الحاجة غير جديرين بتمكين الانسان من الانتقال من مرحلة حضارية إلى مرحلة حضارية أخرى.[17]

7- النظرية المادية:[18]

تذهب هذه النظرية إلى القول بأن الوجود مادة تتطور تطورا ذاتيا مستغنية عن عقل كلي يدبرها، منكرة بذلك وجود خالق لهذا الوجود، وأكدت النظرية بأن المجتمع جزء من هذا الوجود المادي الذي ينطبق عليه ما ينطبق على الكل، فهو يتطور بشكل حتمي وبصورة تقدمية تصاعدية فجائية من الحالة الأدنى إلى الحالة الافضل. وعندما تعرضت النظرية لبيان تغير المجتمع وانتقاله من حالة إلى أخرى، قالت بأن الفكر هو انعكاس المادة على الدماغ وأن المادة أصل الفكر في المجتمع، لذلك فإن النظرية اعتبرت شروط الحياة المادية في المجتمع أصل الحياة العقلية فيه: أفكاره ونظرياته وقوانينه واراؤه وأوضاعه السياسية، وعندما تتغير شروط الحياة المادية في المجتمع، وهي متغيرة برأي النظرية حتما لوجود المتناقضات في المجتمع، تتغير الحياة العقلية فيه.

أما شروط الحياة المادية للمجتمع، وهي بالتالي مفهوم المجتمع عند النظرية، فهي الوسط

الجغرافي والكثافة السكانية وأسلوب الانتاج، والنظرية لا تقيم وزنا للوسط الجغرافي والكثافة السكانية في تكوين المجتمع وتغييره، وانما تجعل الدور الرئيسي لأسلوب الإنتاج، حيث قالت النظرية: "إن أسلوب الإنتاج يتألف من القوى المنتجة المتمثلة بالناس وأدوات الانتاج ومعارف الانتاج ويتالف من علاقات الإنتاج التي تظهر بين الناس في أثناء سير الإنتاج ..، وأن التغيير يبدأ في أدوات الانتاج "، وفرضت أن الأدوات كانت قديما السهام والحجارة، ثم تغيرت إلى الأدوات المعدنية المحسنة كالمحاريث وغيرها، ثم تغيرت إلى الطاحونة والورش الصناعية، ثم تغيرت إلى الأدوات الكبيرة التي تدار بالكهرباء وغيرها من أشكال الطاقة، واستنتجت النظرية من هذه الفرضية التي طرحتها أن العلاقات بين الناس كانت تتغير في كل مرة كانت أدوات الانتاج تتغير فيها ويتغير المجتمع تبعا لذلك، وأن البشرية قد عرفت خمسة أنواع من المجتمعات أو الحضارات هي المشاعية الابتدائية، ثم الرق، ثم الاقطاع، ثم الرأسمالية، ثم الاشتراكية حسب أدوات الانتاج التي كانت في كل مرحلة.

ومن خلال ذلك كانت هذه النظرية قد وقعت في أخطاء أساسية، منها أن الفكر انعكاس المادة على الدماغ وأن المادة أصل الفكر في المجتمع وهو غير صحيح، فوجود المادة وحدها لا يقوم به فكر الا إذا توافر وجود المعلومات اللازمة لتفسير المادة، ولا بد أن تكون أول معلومات حصل الانسان عليها قد جاءت من خارج المادة، مما لا يدع شكا في وجود خالق للمادة، ولا صحة كذلك للقول بدور أسلوب الانتاج ابتداء في تغيير المجتمع وانتقاله من مرحلة حضارية إلى مرحلة حضارية أخرى، فقد تحول المجتمع العربي إلى مجتمع اسلامي، والمجتمع الروسي إلى مجتمع اشتراكي دون أن يسبق ذلك تغيير في أساليب الانتاج، كما أن القول بدور المتناقضات في التطور الحتمي قول غير صحيح تماما، إذ يمكن أن تزول المتناقضات بين الأطراف المختلفة وتسوى الخلافات ولا يتحتم حدوث تغيير أو تبديل في المجتمع، وانما يغير المجتمع أنظمته وأفكاره إذا ظهر فسادها أو وقع المجتمع تحت سلطان خارجي أقوى منه ماديا وفكريا.[19]

أما العوامل التي تساعد على نشوء الحضارة وتقدمها، نذكر في بادئ الأمر عامل البيئة لما له من أهمية بالغة في درجة تقدم الحضارات، ولكن دور البيئة في العطاء الحضاري متفاوت بتفاوت خصائص البيئة وامكاناتها، فالفرق واضح بين ما إذا كانت المنطقة استوائية أو معتدلة أو قطبية لما بين هذه المناطق من فروق في الحرارة والبرودة والرطوبة والجفاف والأمطار والرياح، اضافة إلى طبيعة الشبكة البرية والنهرية والبحرية الموجودة في المنطقة، فضلا عن